الجداول الجامعة في العلوم النافعة

الفقه ـ أصول الفقه ـ القواعد الفقهية ـ العقيدة ـ الملل والنحل ـ علوم القرآن ـ علم التجْويد
مناهج التفسير ـ علم مصطلح الحديث ـ علم التخريج والتعرّف على كتب الحديث ـ علم النّحْو

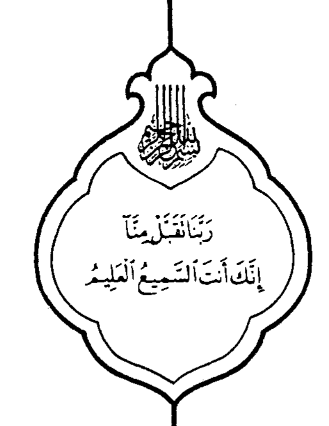
الشيخ الدكتور جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين
ونخبة من طلبة العلم

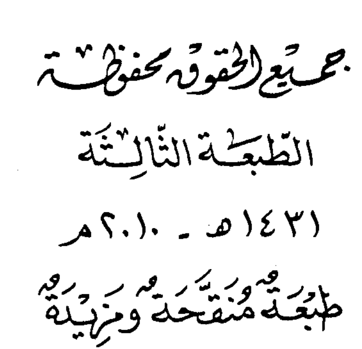
مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الجداول الجامعة
في
العلوم النافعة





مؤسسة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت – لبنان – تلفاكس: (00961 1) 651327 – 655383 ص.ب: 14/5136 الرمز البريدي 11052020

البريد الإلكتروني: Alrayan@cyberia.net.lb الموقع الإلكتروني: http:/alrayanpub.com

الإهداءُ نثراً

إلى والدتي مُنِيرَةَ...

التي لها من اسمها نَصيبٌ، فقد أنارت لي طريق حياتي، فعرفتُ ربي، وسلكتُ منهج النبيِّ مُحَمَّد بن عبدالله ﷺ.

إلى والدتي..

التي أرضعتني معانيَّ الخير كلها، فكانت مدرسة في كل شيء، فهي التي علمتني كيف يكون بر الوالدين، وعلمتني الإحسان إلى الآخرين وإن أساؤوا، وأرضعتني معاني الصبر التي قرأناها في المجلدات وكتبناها، لقد علمتني معنى الإنفاق مما كان في يدها فأدخلت به السرور على الآخرين.

إلى والدتي..

التي لم تعرف الشكوى في حياتها، ولم تئن مع كثرة أمراضها.

إلى والدتي..

التي كنا قبل وفاتها ـ رحمها الله ـ بدعائها نتنعَّم، وإني لأذكر قول أحد الأصدقاء عن أمه بعد وفاتها: لقد ذهبت من كنا بدعائها نتنعَّم، وإني لأقل لئن تنعمتُ بدعاء أمي في حياتها، فإني أتنعم بالدعاء لها بعد وفاتها، وكلما ازددتُ لها دعاءً ازدادت نفسي إحساساً بالنعيم، فقد كنتُ أتنعم بدعائها في حياتها، وأتنعم بالدعاء لها بعد وفاتها، وفي الحالتين، فإني أتنعم بخيرها في الحياة والممات.

ولستُ أعرف لإنسان فضلاً عليَّ فيما أنعم به من فضلٍ وخير يعادل أو يقارب فضل والدتي ـ رحمها الله تعالى ـ ، وأسأل الله سبحانه أن يستجيب دعاءها لي، ويستجيب دعائي لها.

لقد تعلمتُ منها الصبر والتجلد، فقد شطبت من حياتها ما يسمى بالإيذاء، فكانت لا تُؤذِي أحداً ولا شيئاً حتى الأرض التي كانت تمشي عليها، علمتني معانِيَ كثيرةً، قدمتها وهي تضحي بصحتها ووقتها وسعادتها.

إلى والدتي..

التي أعرف من مدرستها الكثير ولا يسعني ذكره في هذا الإهداء وسأفرد له رسالة خاصة إن شاء الله.

إلى والدتي..

أهدي ثواب هذه الرسالة لعلي أؤدي زفرة من زفراتها عند ولادتي.

وأهدي هذه الرسائل إلى:

- **والدي** - رحمه الله تعالى.
- **وإلى رفيقة الدرب أم معاذ**، التي كانت لي عوناً في صبرها على سهري وسفري.
- وإلى **أولادي** جميعاً ذكوراً وإناثاً.
- وإلى كل من **ساهم في إخراجها**، وجعلها بين يدي الناس في المشرق والمغرب.

وإنني إذ أكتب هذا الإهداء، أرجو من إخواني الذين يكون بين أيديهم هذا الكتاب، ألا ينسونا جميعاً من صالح دعائهم.

والحمد لله رب العالمين.

الشيخ الدكتور
جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

الإهداءُ شعراً

أُمَـاهُ كُـنْـتِ مُـنِـيرَةً وَمَـنَـارَةً ... عُـلْـيَـا وَصَـرْحـاً ثَـابِـتَ الأَرْكَـانِ
قَدْ كُنْتِ مَدْرَسَةً تُعِدُّ نُفُوسَنَا ... لِصَنَائِعِ المَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ
قَـدْ كُـنْـتِ لِـلأَيْـتَـامِ أُمّـاً بَـرَّةً ... وَالجَارِ وَالمِسْـكِـينِ أَرْأَفَ حَـانِ
أَرْضَعْتِنَا الأَخْلاقَ شَهْداً سَلْسَلاً ... تَـدْنُـو ثِـمَـارُ قُطُوفِهَا لِلْجَانِي
عَلَّمْتِنَا الصَّبْرَ الجَمِيلَ خَلِيقَةً ... وَالقَوْلَ لِلحُسْنَى وَكَفَّ لِسَانِ

* * * * *

أَبَتَاهُ قَدْ رَبَّيْتَنِي وَأَحَطْتَنِي ... بِـرِعَـايَـةٍ فِـي غِـبْـطَـةٍ وَأَمَـانِ
وَفَّرْتَ أَسْبَابَ السَّعَادَةِ وَالهَنَا ... فَـجَعَلْتَنِي أَسْمُو عَلَى الأَقْرَانِ
فَجَزَاكَ رَبُّ العَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... وَبَقِيتَ فِي حِفْظٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
نَوَّرْتَ يَا بَدْرَ الدُّجَا سُبُلَ العُلا ... بِـالـفَـضْـلِ لاَ فَـظٍّ وَلاَ مَـنَّـانِ
كَـمْ ذَا تُـقَـابِـلُ بِالسُّرورِ تَدَلُّلِي ... بِـمَـحَـبَّـةٍ وَبِـرَأْفَـةٍ وَحَـنَـانِ
أَحْـبَـبْـتَـنِي قَرَّبْتَنِي رَبَّيْتَنِي ... بِـالعِـزِّ فِي ثِقَةٍ وَفِي اطْمِئْنَانِ

أَرَفِيقَتِي كُنْتِ الشُّعَاعَ إِذَا دَجَا ... لَـيْـلُ الحَيَاةِ بِـمُـظْـلِـمِ الحِدْثَـانِ
قَـدْ كُنْتِ خَيْرَ شَرِيكَةٍ وَمُعِينَةٍ ... فِي البِرِّ عِنْدَ تَقَاعُسِ الأَعْوَانِ
الصَّبْرُ فِيكِ مَعَ الوَفَاءِ سَجِيَّةٌ ... بِـتَـعَـاقُبِ الأَفْـرَاحِ وَالأَحْـزَانِ
يَـا حَـبَّـذَا أَفْـلاذُ أَكْـبَـادٍ بِـهَـا ... كَـمُـلَ المُرَادُ وَقَـرَّتِ الـعَـيْـنَـانِ
فَاحْفَظْ مُعَاذاً وَاحْفَظَنَّ مُهَلْهَلاً ... أَمَـدَ الـزَّمَـانِ وَعَـابِـدَ الـرَّحْـمَـنِ
لاَ زَالَ عَـبْـدُاللَّهِ فِـي حِـفْـظٍ وَلاَ ... زَالُـوا جَـمِـيـعـاً غُـرَّةَ الـفِـتْـيَـانِ
وَلْـتَـحْـظَ عَـائِـشَـةٌ وَفَـاطِـمَـةٌ بِـمَا ... قَـدْ شَـاءَتَـا مِـنْ بُـغْـيَـةٍ وَأَمَـانِ
وَاحْـفَـظْ هَـيَـا وَمُـنِـيرَةً يَـا رَبَّـنَـا ... مِـنْ مُـبْـطِـنِ الـبَـغْـضَـاءِ وَالشَّنَآنِ

* * * * *

يَـا رَبِّ لاَ زَالَ الجَـمِـيـعُ بِـنِـعْـمَـةٍ ... وَقِـهِـمْ شُـرُورَ الحَـاسِـدِ المِعْـيَـانِ
صَلَّى الإِلَـهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... وَالآلِ وَالأَصْـحَـابِ كُـلَّ أَوَانِ

الشيخ الدكتور
جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

حصيلة الأربعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين.

قال تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أشدَّه وبلغ أربعين سنة قال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ [الأحقاف: ١٥].

قد ورد عن بعض القرى الصالحة أنها كانت تؤرخ لموتاها بالعمل الصالح الذي يكون منها، فيكون على شاهد القبر (توفي عن خمسة، عن عشر، عن سنة) يريدون العمل الصالح الذي كان من الميت، وهذه لفتة تربوية من أهل هذه القرية الصالحة فمقياس الزمن لهذا الإنسان هو العمل الصالح الذي أودعه في طي الأيام والشهور والسنين، وها أنا قد قاربت الستين من عمري، فالتفت إلى بدايات كتاباتي في الجانب الثقافي والعلمي والتربوي، فوجدتني قد بدأت في سنة ١٣٩٢هـ الموافق ١٩٧٢م، فوجدتها بلغت الأربعين سنة، فشكرت الله جميل فضله وستره وعونه، فعزمت على إعادة النظر فيها وتجميعها وطباعتها بعد المراجعة والتدقيق؛ لعلها تكون علماً ينتفع به، ومن يستفيد منها ويدعو لي كالولد الصالح وكما قالﷺ: **«إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»**(١).

أما الصَّدقة الجارية: فإني أُشهد كلَ مسلم على أن هذه الكتب، وهي حصيلة الأربعين وما سيأتي إن أمر الله بالعمر والصحة والعافية هي وقف لله تعالى يقوم على نشرها وتوزيعها بحسب العقود المبرمة في حياتي في جمهورية مصر العربية (دار شروق للنشر والتوزيع) والتي يقوم عليها السيد سعد حسنين، وفي جمهورية لبنان (مؤسسة الريان) التي يقوم عليها محيي الدين الشامي.

وحرصاً مني على استمرار طباعة الكتب في حياتي وبعد مماتي قمت بالتمويل الكامل لطباعة هذه الكتب في لبنان ومصر على أن تكون هذه المبالغ وهذه الكتب في محفظة وقفية ثقافية لنشر الكتب ومساعدة طلبة العلم أشرف عليها في حياتي، وبعد مماتي يكُوِّن كل من الأخوين الكريمين مجلس نظارة لهذه الوقفية الثقافية، لعلنا بعد ذلك نكون ممن حقق وجمع بين الخصال الثلاث التي بينَّها النبي ﷺ بحديثه: **«إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»**(٢).

---

(١)-(٢) - صحيح مسلم ج٣. ص١٢٥٥ حديث رقم١٦٣١

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعْمَالُ بِالنِّيَّات وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدُنْيَا يُصيبُهَا أو إلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه».

إن تصديرنا لهذه الورقات «حصيلة الأربعين» بهذا الحديث العظيم، يعني انسحاب ذلك على كل ما كتبناه في حياتنا الثقافية وغيرها مما نسأل الله أن يُعيننا عليه فيما تبقى من عمرنا، وعملنا هذا متوافق مع ما كان عليه سلف الأمة، فهذا الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: «كان المتقدِّمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث الأعمال بالنية أمام كل شيء يُنشأ ويبتدأ من أمور الدين؛ لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها».

فقضية النية والصدق فيها من أشد ما يكون على الإنسان، وإننا هنا لنسأل الله سبحانه الذي وفقنا للطاعات بمختلف أشكالها وصورها أن يجعلها خالصة لوجهه سبحانه وتعالى، وأن يتقبلها بفضله وجوده وإلا فالأمر شديد!! قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما» فالأمر بعد ذلك توفيق وعون، من الله تعالى في البداية والنهاية، وقال الإمام الحارث المُحاسبيُّ رحمه الله: «الصادق هو الذي لا يبالي إن خرج كل قَدْر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه».

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله عن الإخلاص: هو التوقي عن ملاحظة الخلق، والصدق التنقي عن مطاوعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له.

وعلى هذا فالمسلم العارف بقصر الحياة وتزاحم الأعمال فيها، يجتهد في ألا يضيع خطوة من خطواته، ولا حركة من حركاته إلا فيما يُثْقِلُ الميزان يوم القيامة: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[1].

والمؤمن الصادق يُقَدِّر لرجله قبل الخطو موقعها، فإن وجد في هذه الحركة إرضاء لله، ونصراً للدين، ونفعاً للمسلمين، مضى في هذه الحركة لا يلوي على شيء، وإن وجد خلاف ذلك رجع واستغفر، وتاب إلى الله وأناب، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ذلك ما علَّمنا إياه الفارق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أحبابي الكرام... يا من يُمسك بكتابي يتصفح أوراقه أسألكم الدعاء لي وللمسلمين بالقبول والصدق والتوفيق، فكم ترددت في تجميع كتاباتي التي سطرتها

(١)- سورة الشعراء: ٨٨-٨٩

على مدار الأربعين سنة والتي بدأتها بصفحة في مجلة المجتمع، في عام ١٣٩٢هـ والموافق ١٩٧٢م وكان عمري حينذاك قد قارب العشرين سنة، وقد لاقيت أثناء الكتابة التشجيع من العم الكبير الشيخ عبدالله العلي المطوع رحمه الله، فكان يقول لمن يتتبع سقطات كلامنا، ويطلب الحذف والتدخل فيما كتبت يقول رحمه الله حين نلتقي ويُسمع ما يقوله للآخرين: (ترَاني لا أراجع ما تكتب وترسله إلى المجتمع، فأنت في محل رفيع من النفس)، وكما كانت هذه الكلمات تشجيعاً ودافعاً للاستمرار كانت في المقابل أمانة كبيرة بأن أراجع ما أكتب مرات ومرات، حتى لا أضع المجلة في أي حرج سياسي، أو فكري، أو تربوي، واستمرت الكتابة إلى سنة ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م حيث نظرت في مجموع المقالاتً، فوجدت لو أنها جُمعت في كتاب أو أكثر؛ لكان فيها نفع إن شاء الله، فبدأت ذلك بالعمل على إخراج ترخيص لدار للنشر والتوزيع سمّيْتها «دار الدعوة»، وكان معي فيها إخوة كرام اتفقنا على أن المراد من الدار هو نشر الدعوة والفكر الوسطي الذي نؤمن به في إطار الكتاب والسنة ومفهوم السلف رضوان الله عليهم، فكان الإصدار الأول - الذي كانت خميرته «مقالات المجتمع» - والذي سميته بـ «الأخوة»، لأجمع معه بعد ذلك محاضرات شرعية كنت أقوم بتدريسها مع إخوة كرام تحتوي على العلوم الآتية: الفقه، العقيدة، أصول الفقه، كنت أدرسها في مسجد العليَّان في كيفان، وكان الشيخ الفاضل المحقق (نبيل البصارة) يُدرس علوم الحديث، والشيخ الفاضل محمود الفداغ يُدرس علوم القرآن - فجمعت هذه المادة في كتاب أطلقنا عليه اسم: «الجداول الجامعة في العلوم النافعة»، وهكذا بدأت مسيرة التأليف، لتلاقي ما تلاقيه أي سفينة تبحر في محيط من الصعاب والمشقات، كنا نستعين بالله سبحانه على تجاوزها، فكان من الله سبحانه التسديد والتوفيق لجهلنا وضعفنا، فللّه الحمد والفضل والمنة، ونسأله الصدق والإخلاص، وأن يكون هذا الأمر من عاجل بشرانا إن شاء الله.

وها أنا اليوم في سنة ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠هـ أضع اللمسات الأخيرة على آخر إصداراتنا؛ لنختم العام الأربعين بالإنتاج الثقافي الكتابي المقروء، والذي - بفضل الله سبحانه - نظرت فيه مراجعة منذ أن كنا شباباً في العشرينيات، وها نحن اليوم نقترب من الستين، فلم أجد فيه ما يضطرني إلى تغيير أو حذف خلل في الفكر والعقيدة، أما الصياغات والأساليب فهو جهد بشري يمكن أن يتغير في كل يوم، بل وفي كل ساعة، وهنا أسأل الله تعالى أن يُعينني على الاستمرار في العطاء؛ لألتقي معكم بعد ذلك في حصيلة الخمسين في سنة ١٤٤١هـ الموافق ٢٠٢٠م، هذه هي النية، فإن أدركنا ذلك فهو بفضل الله ومنته كما قال ﷺ عندما سئل عن خير الناس قال: (مَن طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ)[1]، وهذا الذي نقول عزم ونية وعهد على أن نستمر إن شاء الله في نصرة ديننا

---

(١)- سنن الترمذي ج٤ ص٥٦٥ حديث رقم ٢٣٢٩

العظيم حتى يأتينا اليقين، ونسأل الله العون والتوفيق والسداد والثبات وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المؤمنون».

يا من يتصفح أوراق ما كتبنا نقول لك: إننا ترددنا في إعادة طباعة وترتيب ما أعاننا الله على تسطيره خلال المدة السابقة من عمرنا، ظناً منا أنه لن يكون لهذه الكتابات أثر واضح يحقق المبتغى، ويُقرِّبُ المرتجى، وذلك لسيطرة الفضاء المرئي بكل صوره وأشكاله على ثقافة الإنسان، ولكني بعد الاستشارة والاستخارة عزمت على هذا الجمع، متوكلاً على الله داعياً إياه أن يهديني الصراط المستقيم، وأن يُريني الحق حقاً، ويرزقني أتباعه، وأن يُريني الباطل باطلاً، ويُرزقني اجتنابه، وقد آثرت أن أُسمي هذا المجموع بـ «حصيلة الأربعين من حياتي»، وأنا في هذا المجموع أدعو الجميع إلى إعذاري في كل ما يرون ويرتؤون فيما ذكرناه، وأن يستمعوا معي لقول ابن عبدالبر: «جائز ما قلت أنت، وجائز ما قلت أنا، وكلانا نجم يُهتدى به، فلا علينا شيء من اختلافنا».

أدعو المختلف معنا فيما ذكرناه أن يأخذ بكلام ابن القاسم، الذي يرويه أصبغ المالكي في قوله: أخذ ابن القاسم بيدي يوماً، فقال لي: «يا أصبغ، أنا وأنت اليوم في هذا الأمر سواء، فلا تسألني عن هذه المسألة الصعبة بحضرة الناس، ولكن بيني وبينك حتى أنظر وتنظر».

وإني داع إخواننا الذين قد يُخالفونا، أن يرتقوا إلى صفاء المحبة، وصدق الأخوة، وإسلامية الإعذار، فالناصح الأمين من الدعاة والعلماء يذهب إلى مخالفيه في الرأي ويحاورهم، ونصب عينه قول الإمام النووي في شرحه لحديث: «من رأى منكم منكراً... إلخ» قال الإمام النووي: «العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه الأئمة، وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه».

وما دام الإنكار فيما اختلف فيه العلماء كما قرر الإمام النووي، فلا ينبغي أن يُرْمَى مخالف بكفر، أو فسق، أو زندقة، أو غير ذلك مما لا ينبغي أن يرمَى به العلماء المصلحون، والدعاة المخلصون.

وأنا أضع أمام المخالفين لنا في الرأي قول الإمام الآمدي: «اتفق أهل الحق من المسلمين على أن الإثم محطوط عن المجتهدين في الأحكام الشرعية، وهذا ما اتفق عليه العلماء، ولا عبرة فيما ذهب إليه، بشر المريسي، وابن علية، وأبو بكر الأصم، ونفاة القياس كالظاهرية والإمامية إلى أنه ما من مسألة والحق فيها متعين، وعليه دليل قاطع، فمن أخطأه فهو آثم غير كافر ولا فاسق».

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول في منهاج السنة ٣ / ٢١٩، وفي مجموع الفتاوى ١٩ / ٢٠٣.

وبعد هذه الأصول التي ينبغي على المختلفين في الرأي أن يتبعوها، وأن يجعلوها بينهم مصابيح تنير طريق الالتقاء والمحبة، وتقرب بينهم الشقة، ليعملوا

يداً واحدةً لنصرة هذا الدين، بعد هذا كله أُقِرُّ أن الخطأ وارد على الجميع لبشريتهم، وهذا ما قاله الإمام الشافعي، الذي طبّق علمه الآفاق، قال عن كتبه التي ألّفها: قد ألفت هذه الكتب ولا بد فيها من الخطأ، لقوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء: ٨٢] .

أقبعد هذا يكون الخلاف في الرأي سبباً في القطيعة والفرقة والمذمة؟ إنني هنا أدعو إخواننا وأحبابنا أن يسلكوا معنا طريق الحوار والنصفة، وأن يحتملونا ونحتملهم فنكون قد قبرنا المعاتبة، واستبدلنا بها وداً وصفاءً، وحباً ونقاءً، وقد قيل: إن الاحتمال قبر المَعاتب.

ونحن هنا نتعوذ مما تعوذ منه الإمام الذهبي في قوله: «نعوذ بالله من الهوى والمراء في الدين، وأن نكفر مسلماً موحداً بلازم قوله، وهو يفر من ذلك اللازم، وينزه الرب». ونقول هنا كذلك لإخواننا الذين قد يختلفون معنا في منهاجية التكوين: أن الرؤية للموجودات تؤثر عليها الإسقاطات النفسية للرائي، ولهذا قالوا:

وعينُ الرضَا عَنْ كُلِّ عيبٍ كليلـةٌ ... ولكنَّ عينُ السخطِ تُبدِي المساويا

ومن ثم سيكون التعبير الحسي والمعنوي متأثراً بالانعكاسات الضوئية للأمر المشاهد وبهذا عبروا:

تقـول هذا لعـــاب النحل تمدحه ... وإن ذممت فقـــل: قيءَ الـــزنابير

قــدح وذمٌ وذاتُ الشيءِ واحدةٌ ... إنَّ البيانَ يُريـــكَ الليلَ كالنـــورِ

هذه رواية أهل المغرب للأبيات، ورواها أهل المشرق:

تقـــول هذا جنيُّ النحـل تمـدحه ... وإن تشـأ قلت ذا قيءُ الـــزنابير

مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما ... والحـق قد يعتريـه ســـوءُ تعبير

هذا وقد وضعت لنفسي هدفاً واضحاً حين كتبت مباحث كتبي وهو «تكوين جيل من المحبين للدعوة، والمتحركين لنُصرتها في إطار تربوي متكامل من أجل بناء قاعدة تربوية صلبة تقف في وجه أعاصير الفتن والمثبطات».

وإنني إذ أذكر النتاج الثقافي والفكري الذي أكرمني الله به قد وضعت نصب عيني ما ذكره الإمام النووي في كتابه الأذكار عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ سورة النجم من الآية ٣٢، قال:

اعلم أن ذكر محاسن الإنسان لنفسه ضربان: مذموم ومحبوب، فالمذموم: أن يذكره للافتخار، وإظهار الارتفاع، والتميز على الأقران، وشبه ذلك؛ والمحبوب: أن يكون فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمراً بمعروف، أو ناهياً عن منكر، أو ناصحاً، أو مشيراً بمصلحة، أو معلماً، أو مؤدباً، أو واعظاً، أو مذكراً، أو مصلحاً بين اثنين، أو يدفع عن نفسه شراً، أو نحو ذلك، فيذكر محاسنه ناوياً بذلك أن يكون هذا أقرب إلى قبول قوله، واعتماد ما يذكره، وقد جاء في هذا المعنى، ما لا يحصى من النصوص، كقول النبي ﷺ: «أنا النبي لا كذب»[1]، وقوله: «أنا سيد ولد آدم»[2]، وقوله: «أنا أول من تنشق عنه الأرض»، وقوله: «أنا أعلمكم بالله وأتقاكم»[3] وأشباهه كثيرة.

هذا وقد قال الله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ سورة يوسف، الآية ٥٥ .

وقال عثمان رضي الله عنه عن نفسه، حيث حُصر: («ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتها؟» ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر بئر رومة فله الجنة» فحفرتها؟[4]) فصدّقوا ما قال.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أنه قال حين شكاه أهل الكوفة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقالوا: لا يحسن يصلي فقال سعد: «والله، إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله تعالى، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ... وذكر تمام الحديث.

وعن علي رضي الله عنه، قال: (والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأُميِّ إليّ: «أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»).

وعن أبي وائل، قال: خطبنا ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: (والله، لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله تعالى، وما أنا بخيرهم، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه) .اهـ. كلام الإمام النووي.

وإنني هنا إذ أذكر ما كتبت إنما أصيح على الملأ: هذا فضل الله الذي تكرم به على عبده الضعيف الذي لا حول له ولا قوة، ولكي أعلن لنفسي ولولدي من بعدي أن ما كتبته أودعته مع ما أكرمني الله به من مال في محفظة وقفية ثقافية في حياتي ومن بعد مماتي سائلاً الله التوفيق والسداد.

---

(١)- سنن النسائي الكبرى ج٥، ص١٨٨.

(٢)(٣)- صحيح مسلم ج٤، ص ١٧٨٢.

(٤)- سنن الدارقطني ج٤، ص١٩٩.

هذه سلسلة «حصيلة الأربعين»

١ ـ بيت الدعوة: وصية لا وصايا ـ عشاق الريادة ـ الربانيون ـ العفة ومنهج الاستعفاف ـ العشرون الكبار ـ الأربعون الأدبية ـ أربعون الأندلس والعراق ـ الأربعون الزهدية ـ زاد المسافر والحاضر ـ جداول الآداب المرعية في السياسة الشرعية ـ الهوية الإسلامية ـ نظرات تربوية في الأحاديث النبوية ـ اللطائف النورانية في شرح الأربعين النووية ـ نحو فكر حركي متجدد ـ رحلة الاثنين الإيمانية ـ دعاء لا يرد ـ البناء السلوكي في القرآن الكريم ـ نسمات الفجر «تعال نؤمن بالله ساعة» ـ الدقائق الغالية ـ حوار العجماوات ـ المقامات الياسينية ـ أحاديث المحراب.

٢ ـ من وحي التجربة: تأملات في المشهد الاجتماعي ـ تأملات في المشروع الإسلامي ـ تأملات في فقه النهضة ـ تأملات في ثقافة التغيير ـ تأملات في فقه التدافع ـ حتى لا نغبن ـ شيء من الحقيقة ـ بلدي الكويت ـ العطاء في القديم والحديث ـ استراحة مرابط ـ الكشكول.

٣ ـ سلسلة السياسة الشرعية: الدولة الإسلامية ـ الإرهاب بين النتائج والأسباب ـ السياسة الشرعية ـ الدولة والمقاومة (لبنان وحماس) ـ أمريكا بين الخليج العربي والخليج الفارسي.

٤ ـ سلسلة العلوم الشرعية: الجداول الجامعة في العلوم النافعة ـ القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد ـ المرشد الوثيق ـ الكلمات المنهجية ـ فتح الفتوح ـ المذهب في تدريس المذهب ـ أربح البضاعة في صلاة الجماعة ـ فقه المرأة «من المهد إلى اللحد» ـ حقوق العاملين عليها ـ المنهاج للمعتمر والحاج.

٥ ـ وحدة أمة: وحدة أمة في إطار الكتاب والسنة نظرة واقعية الرسالة الأولى ـ تعظيم الله جل جلاله وحدة الرسالة الثانية ـ توقير الرسول ﷺ وحدة أمة وتعظيمه الرسالة الثالثة ـ المستخلص القويم شرح الأصول العشرين.

في الختام أقول: حسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، توكلت على الله، واعتصمت واستعنت به، وفوضت أمري إليه، واستودعته ديني، ونفسي، ووالديَّ، وولدي، وزوجي، وإخواني، وأحبابي، وسائر من أحسن إلي، وجميع المسلمين وجميع ما أنعم الله به علي وعليهم من أمور الآخرة والدنيا، فإنه سبحانه إذا استودع شيئاً حفظه، ونعم الحفيظ.

والحمد لله رب العالمين